كلمة الحياة

شباط/ فبراير 2023

"أنتَ اللهُ الذي يراني" (تكوين 16، 13)

أُخِذت الآية لكلمة حياة هذا الشهر من سفر التكوين. وقد تلفّظَتْ بها هاجَر خادمة ساراي التي كانت قد أعطتها زوجةً لأبرام، إذ لم تكن قادرة على الإنجاب وتأمين النسل. وعندما اكتشفت هاجَر أنّها حُبلى، أخذت تشعر بالفوقيّة على سيّدتها. فراحت ساراي تُذِلّها، ما جعل هاجَر تهرب إلى الصحراء. وهناك بالذات، جرى لقاء فريد بين الله والمرأة، التي تلقّت وعدًا بنسل، وعدًا شبيهًا بوعد الله لأبرام. والابن الذي سيولَد منها سيُدعى اسمُه إسماعيل، ما يعني "سمِعَ الله"، لأنّه سمع صوت شقاء هاجَر وأعطاها نسلاً.

"أنتَ اللهُ الذي يراني"

تعكس ردّة فعل هاجَر الفكرة الشائعة في العالم القديم وهي أنّ البشر لا يستطيعون أن يكونوا على مقربة كبيرة من الحضور الإلهيّ. فإنّ هاجَر كانت مدهوشة وممتنّة لأنّها بقيت حيّة بعد ذلك. لقد اختبرَت محبّة الله في الصحراء، في ذلك المكان المميَّز حيث يُمكن أن يُعاش اللقاء الشخصيّ مع الله. شعرَت هاجَر بحضوره وبأنّها محبوبة من إله "رآها" في وضعها المؤلِم، إله يعتني بمخلوقاته ويُحيطهم بحبّه. "ليس الربّ بإله غائب، بعيد، غير مبالٍ بمصير الإنسانيّة، أو بمصير كلّ واحد منّا. غالبًا ما نختبر تلك الحقيقة. إنّه هنا معي، إنّه دائمًا معي، يعرف كلّ شيء عنّي ويشاركني كلّ فكرة، كلّ فرح، كلّ رغبة، ويحمل معي كلّ هَمّ وكلّ تجربة في حياتي"[1].

"أنتَ اللهُ الذي يراني"

تُعزّينا كلمة الحياة هذه وتؤكّد على قناعة لدينا: لسنا أبدًا بمفردنا في مسيرتنا، الله هو هنا وهو يحبّنا. أحيانًا نشعر مثل هاجَر بأنّنا "غرباء" على هذه الأرض، أو نبحث عن طرق للهروب من أوضاع صعبة

[1] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر تمّوز/ يوليو 2006.

وأليمة. ولكن علينا أن نكون متأكّدين من حضور الله ومن علاقتنا معه التي تحرّرنا وتُطَمئننا وتسمح لنا دائمًا بأن نبدأ من جديد.

هذا هو اختبار السيّدة التي عاشت وحيدة زمن الجائحة. تخبرنا: "منذ بدء التوقّف التامّ لكلّ النشاطات في بلدنا، بقيتُ بمفردي في البيت، فما من أحد في محيطي أتشارك معه هذه الخبرة، وحاولت أن أشغل نفسي في النهار قدر المستطاع. إلّا أنّني مع مرور الأيّام رحت أشعر بالإحباط أكثر فأكثر. وعند المساء كنت أجد صعوبة كبيرة في النوم. وبدا لي أنّني عاجزة عن الخروج من هذا الكابوس. لكنّني كنتُ أشعر بقوّة بضرورة الاتّكال على الله والإيمان بمحبّته. لم أشكّ بحضوره الذي رافقني وعزّاني في أشهر العزلة هذه. من علامات صغيرة وصلتني من الإخوة، فهمتُ أنّني لست لوحدي. كما تلك المرّة التي احتفلنا فيها بعيد ميلاد صديقة لنا عبر الانترنت، ووصلتني فورًا بعدها قطعة حلوى من جارتي".

"أنتَ اللهُ الذي يراني"

ونحن المحميّين إذًا بفضل حضور الله، نستطيع أن نكون بدورنا رسل محبّته. بالفعل إنّنا مدعوّون لرؤية حاجات الآخرين وإعانة إخوتنا في صحاريهم، ومشاركتهم أفراحهم وآلامهم. فالمجهود يقضي بأن نُبقِيَ عيوننا مفتوحة على البشريّة التي نحن منغمسون فيها.

يمكننا أن نتوقّف ونكون بقرب الأشخاص الذين يبحثون عن معنى وعن جواب لأسئلة الحياة الكثيرة: بقرب الأصدقاء، الأقارب، المعارف، الجيران، زملاء العمل، الأشخاص الذين يعانون صعوبات اقتصاديّة وربّما المهمّشين اجتماعيّا.

نستطيع أن نتذكّر ونتشارك الأوقات الثمينة التي التقينا خلالها بمحبّة الله واكتشفنا معنى حياتنا.

نستطيع أن نواجه معًا الصعوبات ونكتشف في الصحاري التي نمرّ بها حضور الله في قصّتنا، الذي يساعدنا على متابعة طريقنا بثقة.

إعداد باتريتسيا ماتزولا وفريق عمل كلمة الحياة